بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

هذا كتاب معجز فى كل شئ فى ذاته وفى تأليفه، ومؤلفه الذى قدم هـذا الفكر العميق قد مات شهيدا فى ريعان الشباب، ولم يتم بعد العشرين من عمره، فمتى حصل هذه الثقافة العميقة الواسعة، وتمكن من أطرافها هذا التمكن الذى أمكنه بعده أن يحاور فلسفات متعددة، وأفكار شتى متفرقة، يصعب على المتمرس أن يجمعها بعد أن يعايشها عمرا طويلا، فكيف بمن لم يتجاوز سن الصبا إلا قليلا ؟!

المؤلف هو الإمام المهدى لدين الله **الحسين بن القاسم بن على العياتى** الذى توفى سنة ٤٠٤هـ، له مؤلفات فى اللغة والأدب والتفسير وعلم الكلام، إنه إعجاز بكل معنى الكلمة، ودليل وبرهان على مواهب آل بيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وتمكنهم فى ميادين العلم المختلفة، وبحق هم الراسخون فى العلم الذين قد أشار إليهم القرآن الكريم، الذين يلجأ الناس إليهم فى الملمات وشدائد الأمور..

والكتاب من نفائس المكتبة العربية الإسلامية، وهو بالغ الدقة فى منهجه ومعالجة مسائله وقضاياه..

وقد يؤلف العالم العديد من الكتب ولما يبلغ هذه الدقة المتناهية فى التقسيم والتبويب، وتوزيع القضايا توزيعا عادلا متوازنا بين دفتى الكتاب، وكأن الكتاب

تشد كتبه وأبوابه بعضها بعضا كبناء غاية فى الروعة والجمال والمتانة فى نفس الوقت.

ولا أتجاوز إن قلت إن هذا الكتاب يمثل ذروة الفكر الإسلامى فى نهايات القرن الرابع الهجرى وبدايات القرن الخامس سواء فى الطرح أو النقد أو الحوار مع الآخر، الذى كان الكتاب من أوله إلى آخره موضع اهتمامه ورعايته.

كيف كان يفكر المسلمون فى قضايا الألوهية والتوحيد، مالذى انتهوا إليه بعد صدامهم مَع الثقافات والفلسفات المتعددة والمختلفة، التى التحموا بها وعايشوها، ماذا أخذوا، وماذا تركوا، ولماذا أخذوا ما أخذوا وتركوا ما تركوا؟!

هل صحيح حقا ما يدعيه أنصاف المثقفين من الدارسين، وغيرهم من اتباع الفكر السطحى أن الإسلام قد قدم النقل على العقل، ووضع الاجتهاد خلف التقليد، وأفضى به الموروث الثقيل من النصوص والأخبار والآثار إلى موت العقل، حتى فى أخص خصوصياته وهو العقيدة ؟!

هذا كتاب يقرر أن أسس المنهج العقلى مأخوذة من الكتاب الكريم، ويرفض الفكر الأرسطى والمنطق الصورى والثقافة الهلينية القديمة، القائمة على الخيالات والأوهام الذهنية والفروض الواهية، العقل أساس النقل ولا نقل بغير عقل، وما تعارض نقل مع عقل أبدا إلا فى عصرنا، المسلمون القدماء لم تجد هذه الإشكالية إلى عقولهم وقلوبهم سبيلا، ولكن فى هذا العصر ظهر من يفرق

بين الاثنين، ووجدنا من المتخلفين من يدعو أتباعه إلى ترك عقولهم عند بـــاب المسجد مع أحذيتهم!!

تعامل الإسلام مع الثقافات والحضارات الأخرى بكل نضج وحرية وتفتح وتسامح، تحاور معها فأخذ منها وأعطاها وأعـــاد صياغـــة مناهجـــه، وكـــان موضوعيا لأن الذين حملوه إلى العالم كانوا أحرارا، يحترمون البشر كل البشـــر دون تفريق بين إنسان وآخر أو عقيدة وأخرى، فقد أظلتهم شريعة تجل الحريـــة وتحرر الإنسان، ليختار اختياراً حراً مجرداً عن كل قهر أو قسر أو اضطرار..

لقد أظل الناس حضارة إنسانية تحترم الإنسان وتقدره، فتعرفـــه بربـــه وتكشف له عن أسرار وجوده وبين له ما غمض عليه من شأن خلقـــه وبدايتـــه، وتحدد له الغايات وما ينبغى عليه، فاستشعر كرامته ودأب علـــى البحـــث عـــن غايات وجوده.

لقد عاش بين المسلمين من أصحاب العقائد والديانات الأخـــرى مـــا لا يحصى من البشر، فما وجدوا قهراً ولا اضطهاداً، وما اضطرهم أحد إلى تـــرك أديانهم أو عقائدهم تحت أى ظرف من الظروف، وسهر المسلمون على رعايـــة الكنائس والمعابد والبيع، وما سمعنا أن المسلمين الأوائل قد هـــاجموا كنســـية أو معبداً أو هيكلاً، أو قتلوا ذمياً معاهداً إلا فى حق كأن يزهق روحـــاً حـــرم الله قتلها أو يأتى ما ينقض بيعته ويحل دمه، هذا فى مقابل ما يحمله التاريخ من عار محاكم التفتيش فى أسبانيا، والقهر الدينى فى أوربا وغيرها..

حاور المسلمون منكرى الألوهية وجاحديها وعبدة النجوم، وجالسوهم وجادلوهم بالتى هى أحسن، وعرضوا عقيدة الإسلام، كما عرضها الخليل إبراهيم عليه السلام فى الزمن الأول، فبسطوا المسائل وحللوا مقالات الفرق.. طرحوا تصور الإسلام للألوهية والتوحيد بين الجميع، فى مقابل تصور النصارى وتثليثهم، وتصور اليهود وتشبيههم، وتصور الثنوية والمجوس وإثنينيتهم، وتصور أصحاب الكون والدهرية وأصحاب الطبائع بإلحادهم.. فما كان من الإسلام إلا السماحة والوضوح والبراهين الدافعة التى تضطر العقول إلى التسليم بإله واحد أحد فرد صمد.. إله قادر عالم حكيم عالمى وليس محلى، منزه عن كل نقص وعيب، وموصوف بكل ما يليق من صفات الجمال والكمال والجلال..

لقد ترقى الإنسان فى ظل التصور الإسلامى بمفاهيمه عن الألوهية، فما عاد يعبد صنما أو وثنا أو يسجد لشجر أو حجر أو يتوجه بعينه نحو نجوم السماء ضارعا أن ترفع عنه ضرا أو تجلب له نفعا، إنه الإسلام الذى حرر الإنسان من وهم الأرض.. ليرقى به نحو حقيقة جلية واضحة نزلت من السماء، وطالبت كل البشر أن يستقبلوها بعقولهم ولا يغلقوا قلوبهم دونها.. إنه الله الرحيم بعباده، أبى إلا أن يأخذ بأيديهم إليه..

وعلى ذلك جاء وحى السماء إلى الرسول الخاتم، بالرسالة العالمية الكاملة التى أتمت البناء وأرست الأسس والقواعد، فكيف رد الإسلام على منكرى وجاحدى النبوات عامة، ومنكرى نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة..

ماذا تعرف عن **الفضائية والجوهرية والمتجاهلة**..

يحدثك الحسين بن القاسم العيانى عن عقائدهم ويرد على شبهتهم التى يعرضونها تجاه التصور الإسلامى.. ما المنهج الإسلامى فى المعرفة.. وما أدلة المسلمين فى إثبات وجود الله ووحدانيته.. وما هى الصفات التى ينبغى أن تنفى عن ذات الخالق ولا تليق؟! به إن كل ما فى هذا الكتاب معجز سيما لو تمهلت فى قراءته واستيعاب مفاهيمه وقضاياه.. وهذا نفسه ما يعترض به على التوجه الإسلامى المعاصر من الشيوعيين وأذنابهم وأصحاب الفكر الإباحى، والرأسمالى الغالى القائم على المادية الوضعية بما فيها من إسقاط الأديان والعبث بحقيقة الوجود، إنه خطوة ضرورية فى تكوين المسلم لتصور متكامل لله والكون والإنسان وحقيقة البداية والغايات، فما خلق الله شيئا عبثا ولا لهوا، ذلك ظن عبدة الشيطان والجنس والدولار والدينار فى عصرنا.. وقبل عصرنا، إنها حلقات متواصلة من الفكر المتوارث، الذى لا يموت ويقابله الإسلام بحقائق لا تقبل التميع والتمويه.

نور الإسلام الساطع بين ثنايا هذا الكتاب، فى مقابل طغيان الإنسان وأوهامه وجدله ولججه، وكذب من ادعى أن الإسلام قد خضع فى مناهج عقيدته للفلسفة اليونانية أو غيرها، وما تعلق به بعض المتوهمين من أمثلة وقضايا، هذا الكتاب وغيره يقدم لهم البديل الواضح والمثال الصارخ على أصالة الفكر الإسلامى وأصالة التفكير الإسلامى.

لن نقف فى عصر تكنولوجيا الفضاء والسماوات المفتوحة والعولمة، عراة ليس لدينا أسس فكرية ناضجة ولا نعرف كيف نكون مفاهيم حضارية فى

مواجهة الآخر، علينا أن نلحق بالركب بالاعتماد على الأصالة التى تحمى هويتنا فى الحاضر وتحملنا إلى آفاق المستقبل.

إن العالم اليوم فى حاجة إلى مفاهيم إنسانية تستطيع أن تنهض به من ارتكاسة الطين ووحل التصورات المادية، ولا يوجد ذلك إلا عند المسلمين، وعلى وجه التحديد فى مناهج التفكير الناضح عندهم فى العقيدة والأخلاق وأصول الدين والفقه..

لم يعد لدى المسلمين أنفسهم ما يقامرون به، فقد سقط الشرق وتهاوى نجم الشيوعية، وقريبا تسقط الرأسمالية المتطرفة، إن لم تبحث عن فلسفات راسخة قائمة على العدل واحترام الإنسان والكون، وعدم العبث فى خلق الله أو الغلو فى اتجاه الخلود، فالأرض تجأر وتئن من فساد الإنسان، وعلينا أن نوضح للعالم حقيقة هذا الدين بصفاء توحيده ونقاء مناهجه، ونعود أمة دعوة وبلاغ مرة أخرى، حتى يصدق الغرب الواهم والشرق الواهن أن فى الإسلام نوراً مازال مشعا غطت أنواره آفاق العالم.

لا أدرى ماذا يعرف عزيزى القارئ عن المعاناة التى صادفتنى عند تحقيق هذا الكتاب ودراسته، ولكن يكفى أن يعلم أنى ما أقدمت على هذا النوع من الدرس إلا من أجل إعلاء كلمة الله، ولوجه الله وحده، لذلك أسأله أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين، ويجعلنا تحت لواء الحق ماضين. آمين

د.إمام عبد الله

القاهرة : ٢٠٠١/٣/١١م